الدور الإيراني في العراق ...
تفريس العراق والتغيير الديمغرافي لصالح التشيع الفارسي

نشرت ويكيليكس وثائق جديدة وعديدة مما يعرفه الشعب العراقي عن دور إيران ضد الشعب العراقي، ودور فيلق القدس في تدمير العراق وسرقته، فضلًا عن القتل والإبادة للآلاف من الإبرياء، وكذلك دعم الميليشيات والأحزاب الدينية، وفرق الموت، وتصفية الوطنيين، وقتل المخلصين والكفاءات في عمليات منهجية واسعة في الساحة العراقية. تذكر الوثائق مثلًا أن خمس طالبي الفيز الإيرانيين هم من الحرس الثورى وأجهزة المخابرات الإيرانية، ودفع إيران لأكثر من مئتي مليون دولار قبيل الانتخابات لدعم الأحزاب الشيعية التابعة لها، بل في تأسيس التحالف الوطنى وصناعته بشرط وقوعه بأمرة الخامنئي ومسؤولية مباشرة من قاسم سليماني رئيس فيلق القدس، وذكرت بالإسم ارتباط المسؤولين العراقيين بسليماني. من ميزات الوثائق أنها رفعت الستار وكشفت الحجاب عن شياطين السياسة، الذين يبيعون الوطن في أكبر عمليات نصب واحتيال وسرقة وفساد. وفعلًا نجحت إيران في صنع التحالف وتنصيب بعض رجالاتها التاريخيين ودورها فيما تسميه الوثائق: (المهمات القذرة وفرق الموت)، وقد اشتهر سابقًا فيما تطلبه إيران من تصدير ثورتها وعملياتها ضد خصومها

في العـراق ولبنان والكويت والخليج العـربي والدول العربية، حيث كان مسـؤول الخط العسـكرى لحزب ديني، ثم هروبه بعد كل عملية في جنح الليـل إلى إيـران، لحمايته من الملاحقـة القانونية، كما رأينـا زيارته الأخيرة لإيـران بوصفه عبد قن، لا يحق له حتى وضع العلم العراقي وتصريحات نجاد وخامنئي بوصفها أوامر فيما يجب عليه عمله، وكأن العراق العظيم ضيعـة تابعـة لهم. وعينت عميد الحرس الثوري حسـن دانائي فر سـفيرًا لهـا في بغـداد، وعرفنـا تصريحاتـه وتدخلاتـه العلنيـة واللامسـؤولة في السياسـة العراقيـة. ناهيك عـن زرع الطائفيـة، وهي غريبة عـن مجتمعنا العراقي، ونشرها المخدرات والحشيشـة، وقد أوصلت أزلامها كممثلين حصريـين لطوائـف تختزل فيهم، واحتـلال أراضي عراقيـة كالفكة وآبار النفط، وقطع المياه وإفسـادها وتدمير الجنوب الشيعي، وهي ترفع شعار الحسـين وعطشـه في كربـلاء، وإبـادة للسـنة، وقتـل الأسرى وتعذيبهم وتغييب الكثير منهم في السـجون، فضلًا عـن العراقيين الذين اضطرتهم الظروف للمجئ بسـبب ظـروف العراق والهجرة، حيث انقطاع السـبل الأخرى، أو توهم حكم إسـلامي عادل، ودعـم إيران للقاعدة وقياداتها في العـراق، واحتضانهـا لعائلـة ابـن لادن، وتمرير الزرقـاوي بجوازات إيرانية، وطرد العراقيين، واغتيال الكثير من الشـخصيات حتى الشيعية، وعـشرات الأمـور الأخـرى، علـمًا أن الكثـير مـن الجرائـم في العـراق عليهـا بصـمات إيرانية، تجعـل العراقيين بين دمـاء كثيرة ودمـوع غزيرة. ولإيـران أكثـر من خط واتجـاه، وهنا المراوغـة الإيرانية والتبعيـة المطلقة لعـمار الحكيـم إلى ولاية الفقيـه وأصحـاب النعمة عليه، لذلـك لم يخرج عـن التحالـف أبـدًا، وهـو دليـل عـدم وعيـه السـياسي، وابتعـاده عـن

الهموم العراقية، وما يعانيه الشعب وحتى الشيعة من أبسط حقوقهم. إن العراق له أهمية مركزية وخاصة جدًّا، فله موقع جغرافي سياسي إستراتيجي، كما له حدود طويلة معها.

وهنالك بعد تاريخي واضح في كل مرة تقوى فيه دولتهم، يكون عينها على العراق واحتلاله، وجعله عاصمة لها تنطلق منه لإمبراطوريتها وطموحاتها، كما حصل زمن الدولة الصفوية وكذلك قبلها بخمس مئة عام الدولة البويهية، كما في كتابي التشيع العربي بالتفصيل.

وفي العراق أيضًا مراقد ستة من أئمة أهل بيت النبوة، بينما في إيران مرقد واحد. وأهمية حوزاته الدينية بوصفها مركز لصدارة التشيع العربي، ووجهه الناصع النبيل في ثقافة المحبة والتعايش مع التسنن المحمدي ... وخوفهم الشديد منه مقابل تشيعهم الفارسي الدخيل، حيث أنهم دخلوا التشيع متأخرين لظروف شرحتها في كتابي (التشيع العربي والتشيع الفارسي)، لذلك يشعرون بالنقص في الجانب العقدى الشيعي، فيحقدون على العراق، كما يحقدون على السنة عموما، لأنهم دخيلون على الإسلام، وذلك بالفتح الإسلامي للخليفة الثاني الفاروق، الذي أرغمهم على دخول الإسلام، بل وتحطيم العرش الكسروي والإمبراطورية الفارسية وإجبارهم على دخول الإسلام، وهيمنة العرب عليهم وهم ينظرون إلى العرب نظرة رديئة جدًّا وتراثهم وواقعهم الحالي ملئ بثقافة العنصرية والشوفينية ضد العرب.

ومن حقدهم على السنة منع مسجد سني واحد في طهران برغم وجود ملايين السنة وبرغم وجود معابد غير المسلمين: كمعابد اليهود

عامـرة في طهران وغيرها. ويحقدون على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، لذلك يمجدون كسرى، ويحيون العادات المجوسية في النوروز والنيران، ويزورون قاتل الخليفة أبي لؤلؤة في كاشان.

هـذا إضافة إلى حسـدهم من علماء العـراق وشـخصياته وكفاءاته وكـوادره، وهي عقدة النقـص الدائمة لهم، فلابد مـن إفراغه من عقوله والمجيئ بجماعتهم حتى يجعلوا العراق تابعًا لهم،

كـما خاضت إيـران حربًا طالت ٨ سـنوات بعـد احتلالها لأراض عراقيـة، وتصديرهـا لثورتهـا المزعومـة، وتأسيسـها حـركات التحـرر، لإسـقاط الأنظمـة العربيـة، وأصروا عـلى إطالتهـا ثـمان سـنوات مـن الدماء، سـمتها دجـلًا (المهدي المنتظر يحرر القدس عـن طريق كربلاء)، دون نتيجة للشـعوب سـوى دمـاء ودموع، وأهميـة العـراق في الانفتاح عـلى الخليـج العربي والعالم العـربي، وإيران عنصرية باحـتراف لن يقبلها العـرب، وتدعي إيران أنها صرفت على المعارضة العراقية سـابقًا أكثر مما صرفتـه عـلى ما أسـمته «حزب الله» بلبنـان، فضلًا عن صراعهـا المزعوم مـع ما تسـميه (الشـيطان الأكبر) عـلى الأراضي العراقية برغـم الحقيقة، التـي اعـترف بهـا الإيرانيـون، (لـولا دعـم إيـران لمـا تمكـن الأمريكان مـن إسـقاط نظامـي العـراق وأفغانسـتان)، وفعـلًا أمريـكا سـاعدت إيـران في الخـلاص مـن أكـبر عدويـن مجاورين، وهمـا صـدام وطالبان. علمًا بوجود القوات الأمريكية قريبًا.

ومـن أخطـر مـا يحصـل في العـراق هـو تفريـس العـراق والتغيير الديمغـرافي لصالـح التشـيع الفـارسي، فباتـت كثير مـن المناطق السـنية

والعربية الشيعية فارسية صفوية، تم تهجير أهاليها الأصليين، والمجيئ بإيرانيين وأبناء الحشد الشعبي الطائفي، كما حصل بالضبط أيام الاحتلالات الفارسية السابقة للعراق: كالمرحلة البويهية والمرحلة الصفوية. (راجع كتابي التشيع العربي والتشيع الفارسي).

أرض الواقع العراقي محكومة من الميليشيات الطائفية الكثيرة التابعة لإيران، ووعاظ السلاطين المسوقين للمشروع الفارسي. وقد وصل الطائفيون الفاسدون إلى الحكم بعد أن سلمت أمريكا العراق لإيران على طبق من ذهب، ليصل أتباع إيران، ويحكمون العراق بأعلى نوع من الفساد والمهزلة وسرقة المال العام، ونهب العراق وإبعاد الوطنيين، والمخلصين والكفاءات لاستباحة البلد وأهله. العراق كانت منفذًا مهمًّا للصادرات الإيرانية، وإغراقه بالسلع غير الجيدة وتحريك عجلة اقتصادها المريض والمحاصر عالميًّا.

لإيران أيضًا مشكلات كثيرة مع العالم، فهي متهمة بسجل كبير مرتبط بالإرهاب، وعليها عقوبات عالمية، لذلك تستعمل العراق الجارة وتستغلها، وتمرر من خلاله ما لا تقدر عليه مباشرة.

ولا ننسى احتلال إيران للجزر الثلاث من الإمارات وادعائها تبعية البحرين لها، كما تعاني إيران من مشكلة المفاعل النووي، وتريد مقايضة الغرب والدول الكبرى من أجل بقائهم في السلطة، والورقة العراقية تعد من أهم الأوراق المعروضة في طاولة المفاوضات، لذلك جمعت لقاءات المسؤولين الأمريكان مع الإيرانيين في بغداد وغيرها. لكن على الرغم من الاحتلالات الكثيرة التي مر بها العراق من قبل الجارة

العنصرية على مرّ التاريخ، لكنه في كل مرة يتحرر منها، ويرجع بأقوى من السابق، ففيه كل مقومات النهوض، وهذه المرة لم يكن المستنقع العراقي مستنقعًا بسيطًا، إذ تسقط فيه القيادات الإيرانية على أعلى المستويات، وتضعف إيران شيئًا فشيئًا، حتى تسقط الإمبراطوريات الفارسية على أبوابه، كما حصل في سقوط إمبراطورياتهم السابقة.

*****

الأحواز شعب عربي تحت ظلم ولاية الفقيه

الأحـواز هو الاسـم العربي لدولـة عربية كانت مسـتقلة حتى عام ١٩٢٥م، وكانـت ضمـن دولـة حمـورابي (٢٠٩٥ ق. م)، ووجدت فيها القبائل العربية سنة ٣١١ ق. م، وكانت تجاورها دولة فارس التي تفصل بينهـا وبين دولة الأحـواز العربية جبال (زاجـروس). قال ابن حوقل في كتابـه «صورة الأرض» ما نصه: «أما حـدود الأحواز ومحلها مما يجاورها من البقاع المضافة إليها، فإن شرقها حد فارس وأصبهان، وبينها وبين حد فارس من حد أصبهان نهر طاب.. وحد الأحواز مما يلي فارس وأصفهان وحدود الجبال من واسط على خط مستقيم من التربيع». فالأحواز تجاور بلاد فارس، حيث تفصل بينها وبين الخليج العربي، وهي عربية السـكان والتاريـخ، منذ أيام العيلاميين والسـومريين والكلدانيين، ووقعت تحت الاحتـلال الفـارسي أيـام الإمبراطورية الفارسـية، وفتحت سـنة ٦٣٧م إثـر الفتوح الإسـلامية، ثـم قامت فيها الدولـة المشعشـعية بزعامة محمد بن فلاح سـنة ١٤٣٦م، وعاصمتها مدينة الحويـزة، حيث لم تكن فارس دولة إلا على يد الأسرة الصفوية- وهم أتراك- سـنة ١٥٠١م، وعاشت الدولة المشعشـعية العربية نحو ٣ قرون، ودخلـت في حروب مع الدولة الصفويـة ومع الدولة العثمانية، وتمكنت في أوقات من بسـط نفوذها على بندر عباس وكرمنشاه وعلى أماكن أخرى.

سقطت الدولة الصفوية سنة ١٧٠٢م على يد الأفغان، وسقطت الدولة المشعشعية العربية سنة ١٧٦٢م وقامت في الأحواز دولة عربية هي الدولة الكعبية سنة ١٦٩٠م، ودخلت في حروب مع الدولة المشعشعية في آخر أيامها، وفي سنة ١٦٣٧م شملت الدولة الكعبية جميع إقليم الأحواز، ورفضت الدولة الكعبية دفع الضرائب، وأجبرت سنة ١٧٦٣م جميع السفن العابرة لشط العرب بدفع الضرائب لها، وفي سنة ١٨٨١م توفي جابر أمير الدولة الكعبية، وخلفه ابنه خزعل الذي وجه إنذارًا في ١١/ ٥/ ١٨٨٨م للدولة الإيرانية، بأنه سيعلن الحرب عليها، إذا ما حاولت التدخل في شؤون دولته، وأنه لا يخشى النتائج، وفي سنة ١٨٩٦م، بات الحاكم هوالشيخ خزعل، وكانت الدولة الكعبية دولة قوية. القوى الغربية بادرت لاحقًا بضم الأحواز إلى الدولة الإيرانية لأسباب معروفة، واعتقل الشيخ خزعل في يخته بشط العرب، ونقل إلى سجن في طهران سنة ١٩٢٥م، حتى قتل فيه سنة ١٩٣٦م، وغيرت إيران اسم الأحواز إلى خوزستان من أجل نزع الهوية العربية عنها.

هذه خلاصة بسيطة لقصة الأحواز العربية، التي لا زالت ترزح تحت سلطة ولاية الفقيه، وظلمها التي تفرض سياساتها التعسفية على شعب عربي مظلوم مقهور، حتى سياسة التغيير الديمغرافي بالمجيئ بغير العرب وإسكانهم مقابل تهجيرات عربية، كما قال بعض الضيوف في فرض ثقافة التفريس القسري بمحاربة اللغة العربية ومنع افتتاح مدارس عربية، ومصادرة الأراضي العربية وتهميش العرب من المناصب الحكومية، وضعف التمثيل البرلماني، وعدم تكافؤ الفرص في العمل،

ويعيش ٥٠٪ من السكان تحت خط الفقر، وتكريس الدونية للعِرق العربي، علمًا أن من ٨٥- ٩٠٪ من النفط الإيراني ينتج من الأحواز، إضافة إلى غناها بالثروة الزراعية والحيوانية.

إن الشعب الأحوازي يتعرض لهجمة شرسة تستهدف هويته ووجوده على الأرض، وهو انتهاك صارخ لكل معاهدات الأمم المتحدة، ويعد قتل شعب بأكمله. وأشار الى محاكم السلطات الإيرانية التي تشابه محاكم التفتيش في القرون الوسطى.

ما يعانيه الشعب العربي الأحوازي من سياسات وجرائم على يد السلطات الإيرانية الناتجة من تفكير عنصري وطائفي وأجندة، تنتهك حقوق الإنسان وقيمه وكرامته ومبادئه.

وحقوق الإنسان المنتهكة في إيران، والإنتهاكات الخطيرة التي ترتكبها السلطات الإيرانية بحق الشعب العربي الأحوازي، مثل تلوث البيئة، ومصادرة الاراضي، وتهجير العرب والفقر والحرمان والإعدامات، حيث كلها تشير إلى بشاعة الاستعمار والاحتلال الإيراني للأحواز. والأرقام التي تكشف الأمية والبطالة في الأحواز، والمبينة في تقارير مشهودة حول انتهاكات إيران لحقوق الإنسان والسياسات الخطيرة، التي تطبقها السلطات الإيرانية بحق الأحوازيين.

ولابد من العمل المشترك للشعوب غير الفارسية في خارطة إيران، وهنالك قوميات متعددة، يمثل الفرس أقل من النصف من السكان، ومن الضروري العمل المشترك بينهما للمستوى المطلوب.

وإن السياسات الخطيرة التي ترتكبها السلطة الفارسية بحق الشعب الأحوازي، والتي توصف من قبل المؤسسات الدولية بالممهنجة بالقانون والتطبيق.

و أما محافظ الأحواز الشمالية (خوزستان) ومهامه التي توصف بالأمنية والعسكرية، حيث مهمته الأساسية هي حفظ الأمن. وتطبيقًا لمهام المحافظ، أصبحت الأحواز عبارة عن ثكنة عسكرية خاصة بعد انتفاضة ٢٠٠٥ في الأحواز، إضافة إلى نصب الكاميرات في الشوارع لمراقبة أبناء الشعب العربي الاحوازي وكل تحركاته. عمل المحافظ وتنسيقه بشكل مباشر مع الحرس الثوري الإيراني ومع مندوب خامنئي في الاحواز. ومن الجرائم نية سلطات الاحتلال الفارسي تقسيم الأحواز الشمالية (خوزستان) إلى ثلاث محافظات بأهداف أمنية وسياسية. والأرقام الخطيرة والكارثية التي نقلتها لجان الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان، حول الفقر، والمخدرات، وسوء التغذية، والتلوث، وحالات التشوه عند الأطفال، نتيجة لسياسات السلطات الإيرانية الممهنجة، وإهمالها المتعمد لحياة المواطنين الأحوازيين. إنها قضية شعب عربي مظلوم، تحت ظلم ولاية الفقيه الإيرانية واستبدادها.

*****

قاسم سليماني
زعيم الميليشيات الإيرانية في الخارج

قاسم سليماني (١١ مارس ١٩٥٥) قائد عسكري إيراني، وقائد فيلق القدس الإيراني المصنّف أمريكيًّا، بوصفه تنظيمًا إرهابيًّا، ونحن نتفق في كونه تنظيمًا إرهابيًّا.

أيام الحرب الظالمة الإيرانية – العراقية قاد سليماني فيلق ٤١ ثار الله، (وهو فيلق محافظة كرمان الإيرانية). وفي عام ١٩٩٨ عينه خامنئي قائدًا لفيلق القدس الإيراني خلفًا لأحمد وحيدي، ثم رفع خامنئي رتبته من لواء إلى فريق، تقديرًا لجهوده، وتثمينًا لولائه لخامنئي شخصيًّا، يمثل قاسم سليماني وجه ولاية الفقيه في الخارج، من حيث الميليشيات لفيلق القدس الإيراني التابع للحرس الثوري الإيراني، وهو يقود أيضًا الميليشيات الأخرى: كالحشد الشعبى، و٥٠ ميليشيات طائفية في العراق تابعة له، فضلًا عن ميليشيات حزب الله اللبنانى وسوريا والحوثيين في اليمن.

الجنرال الإيراني قاسم سليماني، قائد «فيلق القدس» منذ خمسة عشر عامًا،، يعمل على إعادة تشكيل خريطة الشرق الأوسط الجديد، لصالح إيران وامبراطورية ولاية الفقيه. يمارس عمله بوصفه وسيطًا أحيانًا،

وبوصفه قوةً عسكريةً ضاربةً أحيانًا أخرى، فمن اغتيال الأعداء إلى تسليح الحلفاء.

ومن المواجهات التي خاضها مع القوات الأميركية في العراق إلى الأدوار التي لعبها في النزاعين السوري والعراقي، اكتسب الجنرال سليماني (٥٧ عامًا)، الذي- نادرًا ما تلتقط صور له- لقب «أقوى مسئول أمني» في الشرق الأوسط، وصفه المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي في ٢٠٠٥ بأنه «شهيد حي»، لأنه أوشك على الموت مرارًا، ونجى بأعجوبة كما يدعي خامنئي. وساعد سليماني في الأعوام الثلاثة الأخيرة الرئيس السوري بشار الأسد على قلب المكاسب التي حققها المقاتلون المعارضون في سورية، لأن سورية تشكل نقطة أساسية في محور «طهران - بغداد - دمشق - بيروت»، كما يلعب دورًا كبيرًا في العراق بقيادة الميليشيات الشيعة في مواجهة «داعش»، بالإضافة إلى دوره في اليمن والبحرين ولبنان وفلسطين.

والحقيقة لم يكن سليماني بالنسبة للكثيرين في المنطقة، وحتى في الشارع الإيراني في السنوات السابقة، إلا أنه بات اليوم محور حديث وكالات الإعلام الفارسية. وقد كان بزوغ داعش عام ٢٠١٤م، هوالذي جعل للجنرال الإيراني صاحب الدور المؤثر لأكثر من عشر سنوات في السياسة الإيرانية، منذ توليه قيادة فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني. وفي غضون ساعات من سقوط الموصل في أيدي داعش، وفي رد فعل

سريع للغاية وصل سليماني إلى بغداد؛ حيث قبع في إقامة شبه دائمة هناك، في منزل عضو بارز من أعضاء لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان العراقي.

ومن هناك، بدأ يتحرك ويتصل في التحشيد للميليشيات الطائفية التابعة لإيران، واستقبله الشخصيات المعهودة بالعراق، والمعروفة بولائها لإيران، وقام أيضًا بالسفر إلى الشمال لإعداد الأكراد، عندما كانت أربيل مهددة من جانب الدولة الإسلامية في العراق والشام في أغسطس، وقام بتطويع الجنود والطيارين الإيرانيين، الذين انتشروا في العراق في غضون ساعات من صولة الدولة الإسلامية في العراق والشام.

وقد كان سليماني مفوّضًا لأكثر من عقد لتصدير قيم الثورة الإسلامية ١٩٧٩ وللدفاع عن مصالحها في أي مكان. وكانت أساليبه تعتمد على مزيج من التدخل العسكري من خلال وكلاء أيديولوجيين والإستراتيجيات الدبلوماسية الصارمة. وقد امتد تأثيره من اليمن؛ وكذلك يوجد حزب الله على الحدود الشمالية لإسرائيل، وهو على قمة جدول أعمال فيلق القدس. وتأكيدًا لذلك؛ فقد أعلن سليماني في الاحتفالات الأخيرة لذكرى الثورة الإيرانية قائلًا: «نرى اليوم إشارات الثورة الإسلامية يتم تصديرها إلى جميع أنحاء المنطقة، من البحرين إلى العراق، ومن سوريا إلى اليمن وشمال إفريقيا».

وعندما سئل حسن نصر الله، زعيم ميليشيات حزب الله اللبناني، عن طبيعة العلاقات مع الجنرال سليماني؛ أجاب قائلًا: «الحاج سليماني هو قائد قوة القدس، وقوة القدس مهمتها شو؟ مهمتها الأساسية

هي مساعدة حركات المقاومة في المنطقة، وفي طليعة حركات المقاومة بالمنطقة موجود حزب الله، فمن المنطقي جدًّا أن يكون الأقرب والأوثق والأعرف في العلاقة معه. وفي النهاية تشكل قوة القدس الخط الإمامي أو رأس الحربة في حركة الجمهورية الإسلامية وقدرتها على إسقاط المشاريع ومساعدة حلفائها في المنطقة».

إنه رجل الظل الذي عمل سنوات طويلة في الخفاء، دون ظهور اسمه أو صورته، والذي جعله يتميز على غيره ولاؤه لخامنئي، لجعل خط الحرس الثورى في اتجاهاته المتعددة سيفا بيد ولي الفقيه ضد الخصوم، حتى من التيار القديم في الحرس الثوري خصوصًا خط منتظري المؤسس الحقيقي للحرس. وهذا الخط القديم يعتقد انحراف خامنئي عن خط خميني بالانفتاح على الغرب وأمريكا وترك مبادئ الثورة الإيرانية.

أصبح الآن موضوعًا للمواد الوثائقية، والتقارير الإخبارية، وحتى الأغاني الشعبية. أحد الفيديو كليبات المنتشرة على نطاق واسع في إيران، تم إنتاجه بواسطة مقاتلي الميليشيات الشيعية في العراق. ويُظهر هذا الفيديو الجنود، وهم يرسمون بورتريهًا لوجه الجنرال على الحائط، ويمرون في استعراض أمامه مع وجود موسيقى حماسية في الخلفية.

جاء في الأنشودة الإيرانية للميليشيات الطائفية التابعة لإيران وولاية الفقيه:

«هذا سليماني وريث الأنبياء، منا ونفتخر سويًا بالولاء.. سليماني: يا قاصم ظهر المرتدين، سليماني: يا ذكرى ثورات الماضين.. يا جمرةً ما

أُطفئت من كربلاء، فنزلت فوق الظالمين كما البلاء.. سليماني: لا صوت على صوتك يعلو، سليماني: أكرِم برجالك ما فعلوا».

إنها الشعار الذي يحمله الطائفيون أتباع إيران في العراق ولبنان وسوريا واليمن، وليست هي المرة الأولى التي يقوم فيها الحشد الشعبى الطائفي بفتوى سيستاني وقيادة قاسم سليماني زعيم فيلق القدس الإيراني وميليشيات إيران في سوريا ولبنان وغيرها، تعبيرًا عن ولائهم لإيران ولقاسم سليماني ذراعهم في الخارج، كما جاءت قبلها الأنشودة الطائفية التالية:

«أخو سلمان ونريده، أمان المذهب بأيده، لأن من الله تسديده. سليماني.. رجل مشهود، العزم بارود، قال النصر للشيعة.. هذا ابن الولاية اسألني عنه، من أصحاب الحسين ويمه جنه، شهيد الحي يُسمى خامنائي، بديه النار لكن كله جنة».

وظهور سليماني في محافظة صلاح الدين، شمال العراق، لقيادة الميليشيات العراقية والشيعية؛ في محاولة لاستعادة مدينة تكريت من الدولة الإسلامية. وقد نشرت وكالة أنباء فارس الإيرانية صورًا له مع القوات الموجودة هناك، وأخبرت مصادر شيعية في العراق BBC الفارسية أنه كان موجودًا هناك لبعض الوقت من أجل مساعدة العراقيين كما ذكرته.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها الجنرال سليماني ساحة الصراع؛ ففي سوريا كان له الفضل بشكل رئيس في تقديم الإستراتيجية، التي ساعدت الرئيس بشار الأسد في تحويل مسار الأمور ضد قوات الثوار، واستعادة المدن والبلاد الرئيسة.

ودائـمًا ما كانت تنكر إيران نشر قواتها على أرض سـوريا والعراق، ولكن بين الحين والآخر تُقام الجنازات العامة لقوات الأمن و«المستشارين العسـكريين»، الذين قتلوا في هذين البلدين. وقد أعطى قاسـم سـليماني أهمية لحضور بعض هذه المراسم.

*****

ما وراء الكواليس وفي الخفاء

التحالف الغادر بين إيران وأمريكا وإسرائيل واضح في فصلنا الخاص بهذا الكتاب.

في عام ٢٠٠١، قدمت إيران معلومات إستخباراتية عسكرية للولايات المتحدة من أجل دعم تدخلها للإطاحة بحركة طالبان في أفغانستان. وفي عام ٢٠٠٧، أرسلت واشنطن وطهران ممثلين لهما إلى بغداد من أجل محادثات مباشرة بشأن تدهور الوضع الأمني هناك. وفي مقابلة وثائقية أجرتها بي بي سي القناة الفارسية منذ عامين، أشار السفير الأمريكي السابق في العراق «ريان كروكر» في مقابلة مع بي بي سي إلى الدور الحيوي، الذي يلعبه الجنرال قاسم سليماني من وراء الكواليس في محادثات بغداد.

وقال ريان كروكر: «لقد دعا السفير الإيراني في العراق مرارًا إلى أوقات استراحة. ولم أستطع أن أتبين حينها تمامًا: لماذا يطلب استراحة؟ ثم اكتشفت بعد ذلك أنه كلما قلت شيئًا لم يكن هو قد غطاه في نقاطه، كان بحاجة إلى الاتصال مرة أخرى بطهران من أجل طلب المشورة؛ لقد كان مسيطرًا عليه بشدة، لقد كان على الجانب الآخر من الهاتف قاسم سليماني».

وقد أحس السيد كروكر أيضًا بتأثير سليماني عندما شغل منصب سفير الولايات المتحدة في أفغانستان. حيث ذكر لهيئة الإذاعة البريطانية:

«أوضح المُحاورون الإيرانيون في أفغانستان أنهم يُطلعون وزارة الخارجية على جميع الأمور، إلا أنه في نهاية المطاف كان الجنرال سليماني هو الذي يصنع القرارات».

وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، بات دور الجنرال سليماني أكثر علانية فيما يتعلق بالشؤون الخارجية الإيرانية. حيث لم يعد الشخصية المختفية في نهاية الطرف الآخر من خط الهاتف. وفي هذه الأيام، أصبح وجه الفخر لإيران، والرجل الذي يلجؤون إليه عندما تحدث الأزمات.

وفي الشهر الماضي، في مهرجان فجر السينيمائي في طهران، أهدى أحد الفائزين جائزته إلى الجنرال سليماني. وقد تم الإعلان أنه سيكون واحدًا من المشرفين على إنتاج فيلم جديد تقوم به إيران حول خصمها القديم صدام حسين. ولكن ليس كل أحد سعيدًا بالصعود الصاروخي للجنرال.

في شهر ديسمبر ٢٠١٤، خلال قمة حوار المنامة للأمن، كان هناك تبادل حاد في الرؤى بين المشاركين الكنديين والإيرانيين حول دور الجنرال سليماني. وقد وصف جون بيرد، وزير الخارجية الكندي في ذلك الوقت، سليماني بأنه «وكيل الإرهاب في المنطقة، متنكرًا في زي بطل»، ويقاتل الدولة الإسلامية. وهب المتحدث السابق باسم وفد المفاوضات النووية الإيرانية، حسن موسيان، مدافعًا ومتهمًا الوزير «بقضاء الوقت في القصور والفنادق الفارهة، في حين يعرّض الجنرال سليماني حياته للخطر في محاربة إرهابيي الدولة الإسلامية».

وفي داخل إيران، بدأت حملة بين المدونين المحافظين لدخول الجنرال سليماني إلى الشأن السياسي. ووصفوه بأنه أكثر السياسيين الإيرانيين صدقًا وأقلهم فسادًا، ودعوه إلى خلع سترته العسكرية والترشح للرئاسة في عام ٢٠١٧. وحتى النائب الأول للمتحدث باسم البرلمان الإيراني قام بتقديم دعمه لهذا الأمر.

ومنذ ثلاثة أشهر، قال محمد رضا بهنار: «إن تحليله السياسي ليس أقل مستوى من المرشد الأعلى الإيراني، أو حسن نصر الله زعيم حزب الله اللبناني». ولكن ليس جميع الإيرانيين يشاركونه هذا الحماس، حيث شعر بعض النشطاء السياسيين بقلق عميق من احتمالية سيطرة قادة الحرس الثوري على القصر الرئاسي. وقد أشاروا إلى مصر، حيث استعاد الجيش السيطرة على مقاليد الأمور، محذرين من أن الجنرال الذي يحارب الدولة الإسلامية الآن، من الممكن أن يتحول إلى «السيسي» الإيراني لينقلب في استلام السلطة.

وهكذا بعد مسيرة حافلة للجنرال قاسم سليماني، تعدُّ كلها على المحك الآن بالنسبة له، ففي سوريا على الرغم من البطش والبراميل المتفجرة لنظام الدكتاتور الأسد، إلا أن المستنقع السوري كبير، وقد سقطت القيادات الفارسية الكبيرة فضلًا عن أزلامهم المليشياوية، كما أن تنظيم ما يسمى بـ«الدولة الإسلامية» يسيطر على ٨٠٠ ميل مع حدودها مع العراق. وفي داخل العراق، فإن جرائم الحشد الشعبى (بفتوى سيستاني) والميليشيات الطائفية قد ظهرت للعيان، وبانت حقيقتها والمستنقع العراقي كبير سقطت فيه القيادات الإيرانية الكبيرة، وأما لبنان

فقد ظهرت حقيقته بمساندته نظام الأسد في كل جرائمه وقتله للشعب السوري العظيم ... وأما اليمن وقد كتبنا منذ سنين نحذر من اليمن، وما أدراك ما اليمن؟! حيث أخذت قم قيادات الحوثيين لتحويلهم من الزيدية الى التشيع الفارسي الصفوي، وخدّروهم كليًّا، وبدؤوا يلطمون في قم للانتقام بشعار طائفي كاذب: يالثارات الحسين. والحسين بريء منهم ومن كذبهم ودجلهم، كما في كتأبي التشيع العربي والتشيع الفارسي، في فصل خاص يوضح ذلك بالتفصيل.

كما أرسل سليماني جماعات حوثية للتدريب العسكري في بعض الدول، وهكذا بدا الغدر الإيراني في الانقلاب على الشرعية. ولكن إرادة الله تعالى وعاصفة الحزم من عاصمة الحزم قد أظهرت قوة جديدة في المعادلة، قوة تجمع العروبة والإسلام من عاصمة الحرمين الشريفين، ويفشل المشروع الإيراني، ويظهر ظعفه بمباغتة مدروسة مدعومة من الشرعية اليمنية والدولية وقوانين الأمم المتحدة، ليعيد للعرب والمسلمين نوعًا من العزة والكرامة والشموخ، آملين بمواصلة المشروع حتى تحقيق جميع أهدافه بإذن الله تعالى القائل: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وفي العراق جرائم كثيرة، منها ما أقره القائد العسكري الأمريكي جورج كيسي جريمة النظام الإيراني في تفجير مرقد سامراء للإمامين الهادي والعسكري، وشعلهم الفتنة الطائفية في اتهام السنة زورًا، وقتل الكثير منهم، وبات العراق محكومًا من الملالي، وقراراتهم حتى تعيين رئيس الوزراء المالكي، وبقائه في السلطة باعتراف الجلبي، وقد نقله عن الطالباني أيضًا في منع سحب الثقة عنه برغم فشله الذريع في تقديم أبسط

الخدمات وانتشار الفساد بأعلى صوره، برغم المعاناة الكبيرة للمواطنين، وأما لبنان وحزب الشيطان وأفرعه، فهي كثيرة جدًّا، ومعروفة للقاصي والداني.

إن عدد الجرائم الكبيرة والكثيرة لقاسم سليماني وميليشياته يجب أن تحرّك المجتمع الدولي، والمحاكم العالمية، ومجلس الأمن، وحقوق الإنسان، لمحاكمته ونظام ولاية الفقيه في جرائمه الرهيبة والكبيرة، التي يندى لها جبين الإنسانية في هذا العصر.

*****

الشاهرودي مرجعية إيران
والأحزاب الطائفية التابعة لها

ينحدر محمود الهاشمي الشاهرودي من مدينة شاهرود الإيرانية، وقد نشأ في النجف، ودرس عند المراجع محمد باقر الصدر وأبي القاسم الخوئي والخميني. درس عند الخميني بحثه الخارج في الحكومة الإسلامية، ومباني ولاية الفقيه، وتشبع بولاية الفقيه. بعدها انتقل الشاهرودي إلى إيران حال مجيء الخميني ونجاح ثورتها العام ١٩٧٩، واهتم به الإيرانيون، حتى إنه استلم رئاسة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، لدورتين متلاحقتين، بينما كان محمد باقر الحكيم ناطقًا رسميًّا للمجلس. أعطاه الإيرانيون مكاتب رسمية، ومؤسسات تحقيقية، وبيتًا عظيمًا في منطقة سلارية المترفة، حيث يسكن أغنياء السلطة الحاكمين في قم من قضاتها ومسؤوليها. وتولى مناصب مهمة عالية في إيران، منها دورتان كاملتان لرئاسة القضاء الأعلى، أي السلطة القضائية في إيران، مع أنه لم يدرس الحقوق أوالقانون، إنما دراساته كانت دينية مقتصرة على الحوزات ومادتها الكلاسيكية، إضافة إلى عضويته في مجلس الخبراء، ومجلس صيانة الدستور، ومجلس تشخيص مصلحة النظام. كان ميله الفارسي واضحًا لدرجة إخراجه العراقيين الموالين للثورة الإيرانية من مؤسساته التحقيقية، بحجة أنهم لا يمتلكون الجنسية الإيرانية،

وذلـك انصهارًا في الإيرانيين، وإرضـاءً لهم، حيث القوانين الإيرانية تمنع الأجانب، ومنهم العراقيين من العمل الرسمي أوالزواج أو امتلاك عقار وغيره. ونقل الشاهرودي درسه في باب القضاء إلى الإيرانيين وفي المدرسة الفيضية بقم. كان الشـاهرودي من أوائـل من ادعى أن علي الخامنئي هو مجتهـد، ودعـا إلى تقليده، في الوقت الذي لم يعرف عن خامنئي أنه اجتهد أبدًا، لا من أساتذته كالخميني ولا من غيره، حيث لقب بحجة الإسلام، ممّـا يدل أنه كان في بدايات الدراسـات الحوزوية، والأسـتاذ هوالأعرف بتلاميذه. كما لم يعرف لخامنئي تدريسـه للسـطوح أوالخارج، وهذا شرط من شروط التصدي للمرجعية، وليس من يشهد من تلاميذه ذلك إطلاقًا، كذلك لم يعهد له تأليفه أي كتاب، ينمّ عن مستواه العلمي الديني. إنما هو رجل سياسـة، لا فقه، فكان لدورتين رئيس للدولة، فمتى كان له الوقت لتكملة دراسـاته الدينية وتحصيل الاجتهاد، الذي ادعاه الشاهرودي له، وما جعل ولي الفقيه يمنحه تلك المناصب العليا في الدولة الإيرانية، التي يطمح لها كبار الشخصيات الإيرانية، فكانت تبادل مصالح.

العجيب: أن الشـاهرودي يستعمل لقبين مختلفين حسب المناسبة: الأول هـو لقب الهاشـمي، وهذا مـا يتقدم به عندما يكـون بين العراقيين والعـرب، وعندمـا تصـدى لرئاسـة المجلس الأعـلى للثورة الإسـلامية العراقيـة، كما أسـماه الإيرانيون تبعًا لهـم. واللقب الثاني هوالشـاهرودي يسـتعمله بين الإيرانيين، لإثبـات أصله الفـارسي، وهواللقب الحقيقي. وعـلى الرغم من أن لغته العربية لا بأس بها، لكن لكنته الأعجمية طاغية عليها، بينما ينطلق باللغة الفارسـية كفارسي بدون لكنة أو لحن أو غرابة.

إن منصب القضاء الإيراني ليس منصبًا محبوبًا بسبب كثرة انتهاكات حقوق الإنسان الفظيعة داخل السجون، وكثرة الإعدامات والتعذيب والإقامات الجبرية، حتى للفقهاء والمراجع الكبار، الذين رفضوا ولاية الفقيه، كشريعتمداري مثلاً. لكنه لم يتورع شغفًا في المنصب، وما تبعه من انتهاكات كبيرة.

حاول الشاهرودي أن يطرح مرجعيته في العراق، ويطبع رسالته العملية للتقليد، ويوزعها بكميات كبيرة، ثم يفتح له مكتبًا رسميًّا بالنجف، ويوزّع الحقوق الشرعية والأخماس والرواتب على طلاب العلوم الدينية هناك، مدعومًا بشكل كبير من ولاية الفقيه وإيران، مما يمهد لمرجعيته في العراق. ويبدو أن حزب الدعوة الإسلامية، الذي بيده رئاسة الوزراء في العراق، يميل إليه، ويدعوالى تقليده بعد وفاة المرجع محمد حسين فضل الله بلبنان، وبسبب التاريخ المتقارب بين الشاهرودي وحزب الدعوة في مفاصل عديدة، كان الصراع على أشده بين الحركات الإسلامية في إيران؛ مما جعل الشاهرودي على صلة قريبة من الدعاة، بل حلقة وصل مع القيادات الإيرانية. المشكلة الكبرى في الشاهرودي هي التبعية الكاملة لولاية الفقيه الإيرانية؛ والولاء المطلق لها، وبملاحظة موقعه الرسمي توجد رسائل الولاء لولي الفقيه الإيراني خامنئي بشكل صارخ؛ وكذلك رسائله إلى حسن نصر الله في لبنان، وتأييده لحزب الله ما زال الحزب تحت يد الخامنئي. له تعابير تفيض بالكراهية، مثل «أبناء الطلقاء والطاغوت»، كما يمتلئ موقعه الرسمي باللعن على ما سمي بأعداء أهل البيت، بأسلوب فج خالٍ من الذوق العام والخلق الإنساني،

التي يمتلئ بها التشيع الفارسي الصفوي المعاصر. فكان الأولى من السباب واللعن استخدام كلمات المحبة والرحمة والسلام. كما عرف الشاهرودي بنرجسيته العالية، وتعاليه على طلابه، واستعلائه في التعامل مع الناس، خصوصًا مع العرب، بنوع من العنصرية المعهودة، وهي طبيعة ملازمة للكثير منهم، تلاحظه في أفلامهم العنصرية، خصوصًا أيام الحرب ضد العراق، وأشعارهم منذ شاهنامه لفردوسي إلى يومنا هذا، وخطب الجمعة، وتشبيه العرب بأنهم أبناء الصحراء والبغال وأكلة الجراد. على الرغم من أن الشاهرودي من رجال الدين الكلاسيكيين، أي أنه لم يعهد له غير الفقه والأصول الكلاسيكيين دون العلوم الأخرى أصلًا، لكن المشكلة كل المشكلة هي التبعية لولاية الفقيه الإيرانية مع التدخل الإيراني السافر في جميع مفاصل العراق، فضلًا عن تصديرهم هذه المرجعيات الفارسية، بالاضافة الى المخدرات والمواد الفاسدة وغيرها.

يتضح من السياسة الإيرانية لولاية الفقيه في التمهيد لفرض الشاهرودي مرجعًا للعراق؛ بدعم مادي ومعنوي كبيرين جدًّا، وبالتنسيق مع حزب الدعوة الحاكم الذي أعلن تقليده وولاءه للشاهرودي ببيان رسمي منذ سنوات، علمًا أن أكثر مراجع الشيعة على مر التاريخ لا يؤمنون بنظرية ولاية الفقيه، كما أنها جربت بإيران، وكان استبدادها وآثارها السيئة واضحة جدًّا، ورفضها منظروها: كالمنتظري، واعتبروها استبدادًا ودكتاتورية، لذلك بات المنتظري تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته. تريد الشعوب الإيرانية المظلومة اليوم الخلاص والنجاة منها، كما ظهر للعيان في تظاهرات شباب الجامعات في كل عام، وهم

يـرددون «الموت للدكتاتـور»، ويقصدون ولي الفقيـه وأتباعه. إن المتوقع في السـنين القادمة، أن تطرح إيران بقوة محمود الشاهرودي مرجعية عليا في النجف، على الرغم من وجود مراجع متعددين في العراق. تريد إيران فرض مرجعية إيرانية، تابعة لها كليا ظاهرًا وباطنًا، ولا أنسـب من رئيس القضاء الإيراني وعراب ولايـة الفقيه، لفرضها على العراق. لكن الواقع أن في العراق نفسـه مرجعيات عربية عراقية أصيلة، لا تحتاج أن تسـتورد مرجعيات فارسـية، تابعة لولاية الفقيـه الإيرانية، وبهذا تتحول المرجعية إلى مرجعية حزبية سياسية، تابعة لإيران كالمعهود في تاريخ الشاهرودي.

*****

كاظم الحائري مرجعية إيرانية طائفية

ولد كاظم الحائري الشيرازي في كربلاء العام ١٩٣٨ وهو من ذوي الأصول الفارسية الكاملة، من مدينة شيراز الإيرانية. انتقل إلى النجف العام ١٩٤٢ مع والده للدراسات الدينية الحوزوية، ثمّ تدرّج في الدراسات للمقدمات والسطوح حتى حضر البحث الخارج على يد الخميني ومحمد باقر الصدر ومحمد محمد صادق الصدر، بعد فشله في المدارس الأكاديمية فشلًا ذريعًا انتسب إلى حزب الدعوة الإسلامية في الستينيات، من القرن الماضي، ثم تدرج حتى وصل إلى قيادة الحزب العام ١٩٧٥ بدعم قوي من محمد مهدي الآصفي (مسؤول حزب الدعوة قبل إبراهيم أشيقر الجعفري وحاليا الآصفي، هو ممثل ولي الفقيه الإيراني خامنئي في العراق كله، وبيته جوار السيستاني للتنسيق بينهما)، ثم تأسس المجلس الفقهي (محمد مهدي الآصفي وكاظم الحائري) العام ١٩٨٤، ليكون أي عمل للحزب بإذن الفقيه، ويكون الحائري له الولاية الكاملة على الحزب في كل الأمور.

وقد أصدر الفتاوى بفسق الكثير من قيادات الدعوة، فبدأت الحساسات والاعتراضات والخلافات على أوجها في أروقة الحزب، مما جعل الحزب يصدر قرارًا تاريخيًّا (قرار الحذف)، أي حذف الفقهاء

وعـدم الحاجة إلى الحائـري، وإذنه في العمل السـياسي؛ فخـرج الحائري وأصـدر كراسـا بعنـوان «قرار الحـذف»، يذكر فيـه قرار حـزب الدعوة بحـذف الفقهاء، مما دعاه للقيام بتأسـيس فرع جديـد لحزب الدعوة تابع لولايـة الفقيه الإيرانية كاملًا، أسـماه حزب الدعـوة ولاية الفقيه في العام ١٩٨٨ وحصـل على دعـم مباشر من خامنئي والسـلطات الإيرانية ماليًّا ومعنويًّا، ليكون الأعلى ولاءً للسـلطات الإيرانية، من أهم كتبه «أسـاس الحكومـة الإسـلامية»، وهو يناقـش نظام الحكم في الإسـلام بعد عرضه لأنظمـة الحكم الموجودة؛ ناقدًا لها رافضًا لجميعها، حتى رفضه الصريح لنظرية «الشـورى» الموجودة في القرآن في سـورة باسـم الشـورى، وفيها آية ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، كما جاء في القرآن أمر الله لرسـوله بالمشـاورة ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمـران: ١٥٩]، فهـو يرفـض في كتابـه مبدأ الشـورى، زاعمًا عدم تحديد تفاصيله، فالحائري يزعم أنّ نظام ولاية الفقيـه، الـذي جاء بـه الخميني لحكـم إيـران هو النظام الوحيـد الصالح إسـلاميًّا، برغـم أن مبانيـه الفقهيـة ضعيفة جـدًّا، يندر أن قـال بها فقيه، مثـل النائيني في عوائد الأيام، وبرغم التجربة المريرة لاسـتبداده وظلمه، وقمع ولي الفقيه للشـعوب الإيرانية المنكوبة والمقهورة، حتى تراجع عن ولاية الفقيه منظّروه: أمثال حسين علي منتظري؛ الذي بات تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته، بعد أن كان نائب الخميني في ولاية الفقيه.

يرفـض الحائـري الديمقراطية، ويستسـخف بها جـدًّا في كتابه، كما يعدهـا مناطـة بالجهـل، لأن أكثر الناس جاهلـون فيما يؤدي إلى ما سـمّاه الأهـواء والأخطاء، بينـما الله هو الخالق والعـارف بمصائرهم وعاقبتهم

والأصلح لهم، فهو لا يؤمن بالانتخابات ولا الديمقراطية، ولا رأي الناس، لأن معظمهم جاهلون، ويذكر كذلك شراء الأصوات وتزييفها، مما يفقدها الاعتبار الحقيقي، بل وادعاؤه حكم الأقلية على الأكثرية كما يزعم، لأنه يرفض الانتخابات، وما تؤول إليه.

كذلك تجد هذه الآراء نفسها مبعثرة في كتبه المتكررة، مثل «ولاية الأمر في عصر الغيبة»، وكتاب «الإمامة وقيادة المجتمع»، وكتاب «المرجعية والقيادة». وربما يخطر ببالك وأنت تقرأ كتبه أنه يعيش في القرون المظلمة، واستعباد الناس، واستغفالهم واستحمارهم، وتخديرهم وتغييب العقل عنهم، فأي تخلف وجهل يريد تصديره للعراق.

على الرغم أن الحائري سكن لمدة طويلة في العراق، لكن لغته الفارسية أقوى بكثير من لغته العربية؛ ويخطئ كثيرًا في العربية، لا سيما في المذكر والمؤنث والمثنى والجمع والمفرد، ووجود أل التعريف وعدمها، فضلًا عن هواه، وميله الإيراني المعهود في تعامله بشكل كبير.

المعروف عن الحائري أنه سريع الانفعال، كثير التقلب والانقلاب، شديد الغضب، خشن الطباع، صعب التعامل، كثير الملل والانزعاج وردود الأفعال السريعة الغريبة العجيبة، حتى نفر منه أقرب مقربيه، وهو يُهِينُهُمْ بشدّة أمام الناس لأمر بسيط، ربما كان الحائري مخطئًا فيه وفي فهمه، مما جعله وحيدًا في الكثير من قراراته وحالاته، على الرغم من الدعم الكبير من ولي الفقيه. إنه رجل مزاجي بشكل كبير، ولم نعهد

عنه الاعتراض ولو ببنت شفة على الجرائم والظلم والانتهاكات الكبيرة، التي تحصل في إيران ولاية الفقيه الإيرانية، وكذلك ظلمهم للمراجع، ومنهم مراجعهم العرب.

كان له التأثير على بعض الإسلام السياسي في العراق، فحصل التحالف الإيراني الحائري والصدري، وهو تحالف يخدم إيران لا العراق، لذلك كان ما يعرف بالتحالف الطائفي بعد الانتخابات، ليجعل المالكي رئيس لمجلس الوزراء في دورتين من الظلم والفساد، وعدم الخدمات أصلًا، والاستهتار بالمواطن العراقي إلى أبعد حدوده.

من فتاوى الحائري هي رفض الاحتلال الأمريكي، ورفض المعاهدات معه، (وفق المنهجية الإيرانية)، بينما يناقضها دعم الإسلام السياسي، ولم نعهد له فتوى ضد تصدير المخدرات والمواد الفاسدة، والميليشيات من إيران للفساد والإفساد في العراق.

واشتهرت فتواه بحرمة التصويت للعلمانيين، (وقت محاولات سحب الثقة عن المالكي وذلك دعما للمالكي وتحالفه الطائفي)، مما أبعد الكفاءات الوطنية، وجعل الإسلام السياسي باقيًا في دفة الحكم، يسرق وينهب، بلا خدمات ولا حقوق للمواطن، ولا حسيب ولا رقيب. ومن فتاواه عن البعثيين تقسيمهم إلى خمسة أقسام، يجعل أربعة منها «كلها مصاديق بارزة لمحاربة الله ورسوله، والإفساد في الأرض، وهم مهدورو الدم، كي ينسدّ باب فسادهم وإفسادهم وتهديمهم وتخريبهم...».

واستشهد بالآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة: ٣٣]. وهكذا يعد الحائري من أشد المتصلبين في فتاواه المتشددة المعروفة الكثيرة، والتابعة لولاية الفقيه الإيرانية، وتصديرها، وكأنها علب للتصدير.

ليس من العقل أن يكون فارسي متعصّب يعيش في سبات قم، ويريد إرجاعنا إلى ولاية الفقيه الإيرانية في العراق، المتعدد المتنوع في الثقافات والأديان، كما أن شيعة العراق هم عرب، يرفضون وصاية إيرانية عليهم، خصوصًا ولاية الفقيه الإيرانية واستبدادها، ولهم مرجعياتهم العربية العراقية المتعددة.

*****

الآصفي من قيادة حزب الدعوة إلى ممثلية ولاية الفقيه

مـن رجالات الديـن المهمة في تاريخ حزب الدعوة الإسـلامية، هو محمـد مهدي الآصفـي ذو الأصول الفارسـية المعروفـة. انتمى إلى حزب الدعوة العام ١٩٦٢، ثم بدأ يتدرج في سلّم القيادة. درس البحث الخارج في النجف على الخوئي والخميني، ولم يكن على علاقة حسنة مع المرجعيات العربيـة، مثـل محمـد باقر الصـدر، وظل طيلـة حياته يدعـو للمرجعيات الفارسية، لا سيما ولي الفقيه الإيراني، محذرًا من المراجع العرب.

كان الآصفـي مـن الأوائـل المؤمنين بنهـج الخميني، ومبـدأ ولاية الفقيه، والمروجين له بحماس شديد، فهو يجعل الفقيه بولايته عن المهدي الغائـب ممثـلًا للمهدي، ثـم تبعًا لذلـك ممثـلًا لله في الأرض. لذلك كان الآصفـي مـن الـرواد والفاعلـين إلى تأسـيس «المجلـس الفقهي» لحزب الدعـوة مع رفيقه كاظـم الحائري، ليكون للمجلـس الولاية الشرعية في كل عمل.

كـما كان الآصفي من القلائل المؤيديـن للخميني في النجف. عاش الآصفـي فـترة السـبعينيات في الكويـت، واتّهم هنـاك مع رفاقـه بخلايا حزب الدعوة ونشـاطاتها وملابسـات التفجيرات، ومحاولـة اغتيال أمير

الكويت، وفي الخليج العربي مما أضرّ بالعراقيين المقيمين هناك. كان الآصفي من الأوائل الذين رفعوا راية الدعوة لتأييد الخميني في مختلف مراحله، وقاد مجموعة من حزب الدعوة إلى فرنسا لزيارة الخميني العام ١٩٧٩، وإعلان تأييدهم الكامل للخميني أمام العالم،

كما كان الآصفي من الأوائل الذين ذهبوا إلي إيران العام ١٩٧٩، لكي يلاقي الخميني، ويعلن التأييد المطلق للخميني وثورته. العام ١٩٨٠ بات الآصفي هوالناطق الرسمي للحزب، (وهو أعلى منصب آنذاك)، مواجهًا خطّ علي الكوراني الذي أعلن انشقاقه عن الآصفي في صراعات شخصية مشهورة معروفة. وعندها باتت قيادات الحزب إيرانية فارسية بامتياز، تتكون من عمائم كاظم الحائري الشيرازي ومهدي الآصفي ومرتضى العسكري.

دخل الآصفي في المراحل الأولى لتأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق؛ وكان نائبًا للرئيس محمود الهاشمي الشاهرودي، (الذي بات رئيس القضاء الإيراني الأعلى لدورتين متلاحقتين) في بداية الثمانينيات، ثم خرج من المجلس عندما تحول المجلس تبعًا لباقر الحكيم وجماعته، فخرجت أكثر التيارات الإسلامية الأخرى: كحزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي وغيرها. ولا زال المجلس حكيميًّا من باقر إلى أخيه عزوز، ثم ابنه عمار المعروف بالكتكوت، الذي يشبهه الشعب العراقي بعدي لنرجسيته.

في العام ١٩٩٩ أعلن الآصفي خروجه من حزب الدعوة نهائيًّا، لكنه بقي على علاقة وطيدة بقياداته عملًا بالتقية، كما لاحظنا غيره

كذلك، ثم انضمّ الآصفي إلى مؤسسات ولي الفقيه خامنئي الرسمية، مثل مؤسسة «المجمع العالمي لأهل البيت»، وكذلك تمثيل ولي الفقيه في العديد من المؤسسات والمؤتمرات والجمعيات والوفود العالمية، كما كان مشرفًا على مدرسة دينية للنساء، باسم مدرسة بنت الهدى، التي سلّمها لاحقًا إلى المجمع العالمي لأهل البيت الإيراني كليًّا، برغم أن الأساس في المدرسة من العراقيات.

ألّف الآصفي كتابًا باسم «علاقة الحركة الإسلامية بولي الأمر» مبينًا ضرورة الانقياد لولي الفقيه الخامنئي، وطاعته طاعة مطلقة شرعية في كل شيء. وهو ينظر إلى سيادة خامنئي على عقول الناس بشكل غير حضاري تمامًا.

من أشهر مواقفه أنه كان ضد المرجعيات العربية، خصوصًا محمد حسين فضل الله في لبنان، ويتهكّم بها علنًا في المجالس، والمعروف أنه قاد حملة شعواء كبيرة ضدها، لتسقطها لكونها عربية، كما تحاملت المرجعيات الفارسية المختلفة في قم خصوصًا وإيران عمومًا بالفتاوى الكثيرة ضد فضل الله، حتى قالوا: إنه «ضال مضلّ» في فتاوى قم وغيرها. وهي حملة واسعة جدًّا، ومقصودة ومدروسة لتسقيطه إلى أبعد الحدود، فقد صدرت أكثر من مئة فتوى ضد فضل الله، جاء في بعضها إجابة عن سؤال: «هل يجوز شراء اللحم من شخص يقلد محمد حسين فضل الله؟» الجواب: «لا يجوز شراء اللحم من الشخص المزبور»، وفي سؤال آخر «هل تجوز الصلاة خلف عالم توجد في مكتبته بعض كتب فضل الله؟»، كان الجواب: «لا يجوز الصلاة وراء الإمام المذكور، لأن كتب فضل

الله هي كتب ضلال». إن الكثير من الخطباء وقراء المجالس الحسينية الذين شتموا فضل الله من على منابرهم كانوا يصلون وراءه، ويستلمون مساعداته، ويقدسونه في مجالسهم الخاصة والعامة إلى وقت قريب جدًّا.

من أهم كتب الآصفي أيضًا «ولاية الأمر» و«نظرية الإمام الخميني»، وكلاهما تمجيديان لولاية الفقيه الإيرانية، يشابهان كتابه السابق «علاقة الحركة الإسلامية بولاية الفقيه» في التنظير لولاية خامنئي على المسلمين جميعًا وخصوصًا العراق والخليج العربي.

يعد الآصفي من أهم رجالات إيران في العراق، فهو يمثل حاليًّا ولي الفقيه في العراق، والرابط بينه وبين السيستاني، وينزل عنده قاسم سليماني، لتنفيذ أوامر ولي الفقيه إلى الأحزاب الطائفية الحاكمة.

إن الآصفي هو الرجل المدافع عن المالكي دائمًا للتلاحم بين ولاية الفقيه وحزب الدعوة الحاكم؛ لذلك أصدر الفتاوى أيام الانتخابات في ضرورة انتخاب المالكي وحزب الدعوة، وكذلك حرّم خروج المظاهرات ضد المالكي في ساحة التحرير وغيرها، كما حرّم إضعاف الحكومة والمالكي بأي وجه كان، وأصدر بيانات في ذلك معتبرًا أي إضعاف لها هو جريمة كبرى، لن يغفرها الله؟! هذا هو الإسلام السياسي الحاكم في العراق. كما أصدر الآصفي فتاوى تمنع العفو العام.

وقد أصدر الآصفي البيانات والفتاوى للبحرين وإسقاط حكومتها، بينما لم ينبس ببنت شفة حول غيرها، لا سيما معاناة الشعب السوري. إن أهل مكة أدرى بشعابها، والعراقي أعرف ببلده، وعلى

الآصفي كونه فارسيًّا ننصحه بالرجوع إلى إيران ومعالجة مشكلاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، واستبداد ولي الفقيه هناك. وليس العراق فارسيًّا، ولا يحتاج لوصاية الفرس وأطماعهم.

*****

العسكرى المنظّر لحزب الدعوة
وقيادة التشيع الفارسي المتعصب

يعدّ مرتضى العسكري من أهم الشخصيات في تاريخ حزب الدعوة قيادة وتنظيرًا، فكرًا وسياسة وعملًا. ولد العسكري عام ١٣٣٢ هجرية في مدينة سامراء، بقي فيها لدراسة المقدمات في الحوزة، ثم رجع إلى قم لتكملة دراساته الدينية، ثم عاد مدة إلى العراق ثم رجع إلى إيران، ومن أهم أساتذته هو خميني. فالعسكري من ذوي الأصول الإيرانية، التي تحمل جنسيتها وولاءها وانقيادها بعد خروج السيد محمد باقر الصدر (ت ١٩٨٠) من حزب الدعوة في بداية الستينيات وتحريمه الدخول في الحزب على رجال الدين، لأنه لم يجد مبررًا شرعيًّا، لتأسيس الأحزاب الإسلامية، وكانت استدلالاته السابقة من آيات الشورى وغيرها لم تعد نافعة ولا كافية، بعد معارضة ثلاثة مراجع له، وهم: الحلي وآل ياسين والحكيم، فضلًا عن تصوره للشخصنة في الحزب، وما أسماه (الحزبية الصنمية)، التي تتنافى مع مبادئ الإسلام وقيمه، لأنها تفضل الحزبي غير المؤهل على غير الحزبي المؤهل والأفضل، جاء الدور القيادي الجديد للحزب من الثلاثي: مرتضى العسكري بوصفه رجل دين منظر وزعيمًا، وأبو حسن (محمد هادي) ابن شيخ عبدالله السبيتي، القائد الفعلي الميداني للحزب، الذي كتب منشورات (صوت الدعوة)، التي تدرس تنظيميًّا في

الحـزب، وعبدالصاحب دخيل مسـؤول الخلايـا التنظيمية، كما شرحت سابقًا في تاريخ حزب الدعوة مرتضى العسكري زعيمهم يعدُّ من منظري التشيع الفارسي المعاصر في مختلف أبعاده، ويظهر في حركته، كما يظهر في كتبه، خصوصًا مثل (معالم المدرستين): كمقارنة لمدرستي السنة والشيعة، وفيـه من المفارقـات والتناقضـات والأخطاء الشيء الكثـير، و(أحاديث عائشة) وكتابه الهزيل (الأسطورة السبئية)، وهي أكذوبة كاملة قد رددتُ عليهـا في كتابي (التشـيع العربي والتشـيع الفارسي)، وأثبـت إجماع فقهاء الشـيعة المتقدمين على وجود عبدالله بن سـبأ وتأثيره، ورفض الإمام علي لأفكاره المغالية. وعندما سـألتُ العسكري: (كيف تدعي أن لا أحد من فقهاء الشيعة القدماء يؤمن بابن سبأ، برغم أن الحقيقة تسالمهم جميعًا على وجوده أي عكس ما كتبتم؟) أجابني العسـكري: (قليل هم من يقرأ من الشـيعة، وأكثرهم عوام، يرددون ما يسمعون، وأقل من القليل من يغور في التحقيـق). وكذلـك كثـير مـن الكتيبات البسـيطة غير العلميـة، التي طبعهـا كـمٍّ لا نوعًـا، مثـل عقائد الإسـلام والبناء عـلى القبـور والزواج المؤقـت، وقـد سـلّمه خامنئـي كليـات عديـدة افتتحها في قـم، ومختلف المحافظـات الإيرانيـة (دانشـكدة أصـول الدين)، وكان هدفه الأسـاس تحويل السـنة إلى شـيعة تابعين لولاية الفقيه –الخامنئي، كما يذكر عنه علي شريعتـي (تعصبـه– أي مرتضى العسـكري– تعصب أعمـى لمن يخالفه، حتـى في طريقـة التفكير وطبيعـة المزاج، فإنـه لايتورع عـن تكفيره دون ترديـد، ويتهـرب من الجواب، ثم السـيل من السـباب والشـتم والاتهام بالفسق والتكفير)، وقد أجاب العسكري شخصًا، يشكك في سند رواية شتم للخلفاء والطعن في عائشة، قائلًا: (أنت مشكوك في أصلك، واسأل

أمـك عن أصلـك، فإنه لايبغض عليًّـا إلا ابن زنا)، وقـد أصدر مرتضى العسـكري بيانا ضد الإرشـاد وضد علي شريعتي بخط يده، وفيه: (متى كان عمـر بـن الخطـاب شريف بني عدي، أما نسـبه فقد كانـت الصهاك جاريـة لعبدالمطلـب، وكانت ذات عجـز، وكانت ترعـى الإبل، وكانت تميـل إلى النكاح، فنظـر إليها نفيل جد عمر في مرعـى الإبل، فوقع عليها فحملت بالخطاب، فلما أدرك البلوغ نظر إلى أمه صهاك، فأعجبه عجزها فوثب عليها، فحملت منه بحنتمة، فلما ولدتها خافت من أهلها، فجعلتها في صوف، وألقتها بين أحشام مكة، فوجدها هشام بن المغيرة بن الوليد، فحملهـا إلى منزله، ولما نظر إليها الخطاب فمال إليها وخطبها من هشـام، فتزوجهـا وأولـد منها عمـر، فكان الخطـاب أباه وجده وخالـه، وكانت ختمـة أمه وأخته وعمته... (من جده خاله ووالده، وأمه وأخته وعمته، أجـدر أن يبغض الوصي، وأن ينكر في الغدير بيعته)، انتهى كلام مرتضى العسـكري..! هذا هوالتشـيع الفارسي الذي يكفر الخليفة الثاني، ويزرع الاحقـاد والتكفـير والظلـم والعـدوان. أمـا قصة ابن سـبأ فقـد وردت روايـات كثيرة عن الأئمة علي بن أبي طالب والحسـنين والباقر والصادق والسـجاد وغيرهم، تحدثت عن عبدالله بن سـبأ وعقائده الفاسدة وفرقته الضالة منها، ولم يرد تشـكيك في وجوده من أي إمام أصلًا عن أبي جعفر الباقـر: (أن عبـدالله بن سـبأ كان يدعي النبـوة، ويزعم أن أمـير المؤمنين هـوالله- تعالى عن ذلـك- فبلغ ذلك أمـير المؤمنين عليه السـلام، فدعاه وسـأله فأقر بذلك، وقال: نعم أنت هو، وقد كان قد ألقى في روعي أنت الله، وأني نبـي. فقـال أمـير المؤمنين عليه السـلام: ويلك قد سـخر منك الشـيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى، فحبسـه، واسـتتابه

ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار، وقال: «إن الشيطان استهواه، فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك»). وعن أبي عبدالله الصادق أنه قال: (لعن الله عبدالله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبدًا لله طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم)، (معرفة أخبار الرجال) للكشي (٧٠-٧١)، وهناك روايات أخرى كثيرة. كما تحدث عنه فقهاء الشيعة، فقد قال الصدوق القمي (ت٣٨١هـ) أحد أعمدة تأسيس الفقه في القرن الثالث، وصاحب الكتاب الثاني من المصادر الحديثية (من لا يحضره الفقيه)، راويا عن الإمام علي: (إذا فرغ أحدكم من الصلاة، فليرفع يديه إلى السماء، وينصب في الدعاء، فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس الله عز وجل بكل مكان؟ قال: بلى، قال: فلم يرفع يديه إلى السماء؟ فقال: أو ما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات: ٢٢]، فمن أين يطلب الرزق إلا موضعه؟ وموضعه -الرزق- ما وعد الله عز وجل السماء) (من لا يحضره الفقيه) (١/ ٢٢٩). ويذكر الصدوق القمي في الكتاب نفسه، موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رفع اليدين إلى السماء في أثناء الدعاء. ج١-٢١٣ وقال الفقيه أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في كتابه تهذيب الأحكام (٢/ ٣٢٢)، وهو المصدر من الكتب الحديثية الأربعة المعتمدة، قال: إن ابن سبأ كافر وأظهر الغلو. وقال المحقق الفقيه الشيعي عبدالله المامقاني: (عبدالله بن سبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو)، وقال: (غال ملعون، حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، وكان يزعم أن عليًّا إله، وأنه نبي)، (تنقيح المقال في علم الرجال)، (٢/ ١٨٣، ١٨٤). وقال

الفقيه سعد بن عبدالله القمي (ت٣٠١هـ) في معرض كلامه عن السبئية: (السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، وهو عبدالله بن وهب الراسبي الهمداني، وساعده على ذلك عبدالله بن خرسي وابن أسود، وهما من أجل أصحابه، وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم)، ونقل الفقيه سعد القمي في كتابه (المقالات والفرق): أن عبدالله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادّعى أن عليًّا أمره بذلك. و(أن السبئية قالوا للذي نعاه (أي علي بن أبي طالب): كذبت ياعدوالله لو جئتنا والله بدماغه خربة، فأقمت على قتله سبعين عدلًا ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض ثم مضوا ...) وقال الفقيه نعمة الله الجزائري: (قال عبدالله بن سبأ لعلي بن أبي طالب: أنت الإله حقًّا، فنفاه علي إلى المدائن، وقيل: إنه كان يهوديًّا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وفي موسى مثل ما قال في علي) (الأنوار النعمانية) (٢/ ٢٣٤). كذلك الفقيه محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ) المعتمد عند الصفويين في كتابه بحار الأنوار (٢٥/ ٢٨٧-٢٨). أورد الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣هـ) في كتابه مسائل الإمامة ما يلي: (و فرقة زعموا أن عليًّا حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، وكان عبدالله بن سبأ رجلًا من أهل صنعاء يهوديًّا.. وسكن المدائن..)- مسائل الإمامة (ص٢٢-٢٣)، ويتحدث الفقيه الشيعي الحسن النوبختي (ت ٣١٠هـ) في كتابه فرق الشيعة (ص ٢٣) عن أخبار ابن سبأ، فيذكر أنه لما بلغ ابن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في

سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلًا، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض. ويقول في (ص ٤٤) وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًّا فأسلم ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصيًّا بعد موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي في علي بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه. عبدالله بن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة، وتبرأ منهم، وقال: إن عليًّا أمره بذلك، فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه، يا أمير المؤمنين أتقتل رجلًا يدعو إلى حبكم، أهل البيت، وإلى ولايتكم، والبراءة من أعدائكم، فسيره إلى المدائن وروى الفقيه الشيعي الكشي (ت ٣٤٠هـ) في كتابه الرجال (ص ٩٨-٩٩) بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله: إن عبدالله ابن سبأ كان يدّعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين هو الله تعالى. وينقل أقوالًا مشابهة عن الأئمة: جعفر الصادق وعلي بن الحسين تلعن فيها عبدالله بن سبأ في الكتاب نفسه، ويروي الكشي أيضًا بسنده إلى أبي جعفر (أنه بلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله، وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب. فأبى، فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار. والصواب: أنه نفاه بالمدائن ...)، وكذلك الفقيه الشيخ محمد المفيد (ت٤١٣هـ) في كتاب شرح عقائد الصدوق (ص ٢٥٧)، ذكر الغلاة من المتظاهرين بالإسلام- يقصد السبئية- الذين نسبوا أمير المؤمنين علي والأئمة من ذريته إلى

الألوهية والنبوة،فحكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار. كما نقل ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) في مناقب آل أبي طالب (١/ ٢٢٧-٢٢٨) عبدالله بن سبأ. وذكر الحسن ابن علي الحلّي (ت ٧٢٦هـ) في كتابه الرجال (٢/ ٧١) إلى ابن سبأ.

ويرى ابن المرتضى (ت ٨٤٠هـ)- وهو من أئمة الشيعة الزيدية-: أن أصل التشيع مرجعه إلى ابن سبأ، لأنه أول من أحدث القول بالنص في الإمامة. تاج العروس لابن المرتضى (ص ٥، ٦). ويرى الأردبيلي (ت ١١٠٠هـ) في كتاب جامع الرواة (١/ ٤٨٥) أن ابن سبأ غال ملعون، يزعم ألوهية علي ونبوته. كذلك طاهر العاملي (ت ١١٣٨هـ) في مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن (ص ٦٢). كذلك الخوانساري فقد ذكر ابن سبأ عنده على لسان الإمام جعفر الصادق، الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير. روضات الجنات (٣/ ١٤١) وقال العلامة الحلي: ابن سبأ غال ملعون، حرقه أمير المؤمنين بالنار، كان يزعم أن عليًّا إله- الخلاصة القسم الثاني الباب الثاني ٢٣٦ وذكر ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) في شرح نهج البلاغة (٢/ ٩٩) ما نصه: (فلما قتل أمير المؤمنين أظهر ابن سبأ مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه). وقال ابن أبي الحديد أن عبدالله بن سبأ قام إلى علي وهو يخطب، فقال له: (أنت أنت، وجعل يكررها، فقال له -علي-: ويلك من أنا؟! فقال: أنت الله، فأمر بأخذه وأخذ قوم كانوا معه على رأيه)، شرح نهج البلاغة (٥/ ٥). وذكر المؤرخ الشيعي محمد بن خاوند في «روضة الصفا»: «أن عبدالله بن سبأ تظاهر بالعلم والتقوى، حتى افتتن الناس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه،

ومنه، وقال: إن الأمة ظلمت عليًّا، وغصبت حقه، حق الخلافة، والولاية، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاضدته، فتأثر كثير بأقواله وآرائه...». وغيره كثير جدًّا مما يثبت وهن ادعاء العسكري عدم وجود أي مصدر شيعي لابن سبأ في المصادر، كما ثبت بالتفصيل في كتابي (التشيع العربي والتشيع الفارسي)، مما يجعل العسكري رمزًا من رموز التشيع الفارسي المعاصر والتبعية لولاية الفقيه الإيرانية فكرًا وسياسة.

*****

حزب الدعوة من التأسيس والمعارضة إلى السلطة والحكم

لا زال حزب الدعوة الحاكم في العراق يرفع اسم السيد محمد باقر الصدر (قتل سنة ١٩٨٠)، والإدعاء الخاطئ السائد في تأسيسه لحزب الدعوة، ورفعه قميص عثمان في الصراعات السياسية بين أحزاب الإسلام السياسي. والحقيقة أنه ليس المؤسس للحزب أصلًا وأبدًا، كما شرحته في تاريخ الحركة الإسلامية في العراق. لقد خرج محمد باقر الصدر عام ١٩٦٠ من حزب الدعوة كليًّا، كما طلب من تلامذته الخروج منه. تأسس حزب الدعوة لدعم مرجعية محسن الحكيم (الأصفهاني ذوي الأصول الإيرانية)، في مواجهته لعبدالكريم قاسم والتيارات القومية واليسارية وغيرها، التي راجت العراق وشباب الجامعات، بل حتى عقر النجف وكربلاء، وما يسمى بالمناطق الشيعية المقدسة، حتى بات أولاد المراجع الدينية ومتعلقيهم من الشيوعيين والقوميين والليبراليين، وتبنيهم للتيارات المقابلة للإسلاميين. كان مهدي الحكيم (قتل في السودان عام ١٩٨٨) في دعمه لمرجعية والده، قام بتأسيس الحزب عام ١٩٥٨ مفاتحًا مجموعة منهم محمد صادق القاموسي، وكذلك أخاه باقر الحكيم، وهو شاب مراهق، وآخرين من زملائهم الشباب. ثم دعا في السنة التالية ١٩٥٩ محمد باقر الصدر، ليعطي غطاءً شرعيًّا للحزب،

لأن فكـرة الحـزب لم تكن مقبولة في الحوزة الدينية لسـببين اثنين: الأول: اعتقاد أنها فكرة غربية غير إسـلامية أصـلًا. وثانيًا: كون المرجعية الدينية لا تريـد منافسًـا لها في الزعامة، ولا مرجعيـة في عرضها، قد تتمرّد لاحقًا على المرجعية، وتكون بديلًا حركيًّا عنها لقيادة الشـيعة. لكن باقر الصدر قـام في السـنة اللاحقة عـام ١٩٦٠ بإعلان خروجه بعـد مراجعة نقدية، ثـم تحريمه لحزب الدعوة كليًّـا، وطلبه من قيادات الحـزب الخروج منه، لتصوره أن الحزب يتجه نحوالحزبية والشـخصية والذاتية الدنيوية بعيدًا عن الأهداف الرسالية، ولا مبرر له شرعًا خصوصًا وقد كان الاستدلال الشرعـي له بآية الشـورى وأمثالهـا، حيث ثبت بطلانه عنـده. طلب باقر الصـدر من مريديه وتلامذته تـرك الحزب، فخرج مهدي الحكيم، ولحقه أخوه باقر الحكيم، وقبلهما محمد صادق القاموسي، وغيرهم. جاءت قيادة جديـدة تتمثل بمرتضى العسـكري رجـل الدين والمهنـدس محمد هادي عبدالله السـبيتي (أبي حسن) بوصفه سياسـيًّا ومشرفًا ومنظرًا، وقد كتب أكثـر مواضيع نشرتهم (صـوت الدعوة)، وقد هـرب إلى الأردن لاحقًا. إضافـة للحاج عبدالصاحب دخيل كمسـؤول عن اللجان التنظيمية. ثم اعترض عليهم لاحقًا الشـيخ عبدالهادي الفضـلي وآخرون على كثير من الإشكالات والتصرفات المنافية للشرع والأخلاق والقيم في التنظيم، مما أدى الى قرار الحزب بطرد الشيخ الفضلي، والسيد عدنان البكاء، والسيد طالب الرفاعي من حزب الدعوة. كثر الحديث عن علاقة طالب الرفاعي بالكثـير من حزب التحرير والإخوان المسـلمين بمصر علمًا أنه صلى على شاه إيران بعد وفاته بمصر، وهناك الكثير مما لم يكشف لحد الآن عن تلك العلاقـات وتلك الحقبة المظلمة. لا شـك أن باقر الصدر قد حرّم الانتماء

إلى حزب الدعوة على العلماء وعلى عامة الناس في أوقات متعددة محذرًا من الحزبية الصنمية والانحدارات الأخلاقية، التي أقر بها الكثير من الشخصيات التي أعلنت خروجها من ظلامية الحزب وقياداته وحركته الظلامية. اضطر كاظم الحائري بعد أن كان فقيه الدعوة إلى الخروج منها بعد إصدار الدعوة (قرار الحذف)، الذي أهدانيه شخصيًّا. والكتاب يشرح عدم حاجة حزب الدعوة الى الفقهاء. ثم تكلم الحائري عن انحراف حزب الدعوة واستحكام الانحراف، الذي لا يمكن تصحيحه مما اضطره لتأسيس حزب جديد للدعوة، وأصدر كتابًا في إشكالات حقيقية في حزب متّهم بأمور كثيرة تنخر في أعمق قياداته وجذوره.

وقد أخبرني الحائري أنه لم يندم في حياته، كما ندم أنه لم يلتزم بفتوى أستاذه محمد باقر الصدر بوجوب الخروج من الحزب. في داخل الحزب كانت تحركات الكثير من عمائم الدعوة ورجالاتها متهمون بالارتباطات بقوى خارجية، يعملون لها، ويحققون طلباتها بعيدًا عن الوطنية والأخلاق والمبادئ والعديد منهم توفي لا داعي لذكره. لم يكن العسكري هوالقيادة الفارسية الوحيدة، بل هنالك الكثير من الرموز الفارسية، ومنهم محمد مهدي الآصفي الإيراني صاحب المنهج التكفيري الناطق الرسمي إلى حزب الدعوة قبل إبراهيم الأشيقر (الجعفري خطأ)، ثم صار الآصفي ممثلًا لولي الفقيه الخامنئي حاليًّا في العراق، وبيته قرب بيت السيستاني في الزقاق نفسه وصار رابطًا بين خامنئي والسيستاني وقاسم سليماني الذي ينزل في بيته في تكوين التحالفات الشيعية الطائفية الحاكمة الموالية لإيران في لعبة لبيع العراق إلى إيران. الآصفي صاحب

الفتاوى المشهورة، مثل حرمة المظاهرات في العراق ووجوبها في البحرين والدفاع عن نوري المالكي في مختلف أزماته مع خصومه السياسيين. الكثير من قيادات الدعوة كانت مهاجمة للخميني قبل الثورة الإيرانية، ثم باتت تابعة لولاية الفقيه في إيران حبًّا في السلطة والدنيا والمغانم، لكن الإيرانيين لا وفاء لهم، وعرفوا بالغدر لأقرب حلفائهم، حيث أعطت إيران معسكر الأهواز إلى حزب الدعوة بقيادة رجل الدين حسين بركة الشامي، وقد حصلت فضائح كثيرة جدًّا، لا سيما فضيحة أبي حوراء وغيره، مما جعل السلطات تكشف أمره فهرب الدعاة لا سيما العمائم بزي النساء، (الذين نعتهم بريمر بما يستحقونه، ومنهم الأشيقر (الجعفري)، الذي أهدى سيف الإمام علي إلى رامسفيلد، والمتهم أيضًا بأمور كثيرة)، للجوء إلى بريطانيا، وهم القائلون سابقًا بحرمة اللجوء للغرب لعنوان التعرب بعد الهجرة. علمًا باستحواذ رجل الدين وإمام جماعة الدعاة الجدد، حسين بركة الشامي على مؤسسة دار الإسلام بعد بيعه لمؤسسة المصطفى الوقف الشيعي، وتسجيل ذلك الملك الجديد (دار الإسلام) باسمه، حتى اعترض الدعاة، وقاطعوه وامتنعوا عن الحضور في المؤسسة كليًّا، وتحاكموا عند مرجعية محمد حسين فضل الله، لتقسيم التركة في مهزلة من مهازل بيع الدين من أجل الدنيا. بينما النظام العراقي الصدامي كان يعد الكثير من المعارضين هم من حزب الدعوة، برغم أن الحقيقة لا علاقة لأكثرهم بالحزب، لا من قريب ولا بعيد، مما أعطاهم أفقًا كبيرًا للتحرك والارتباط بالقوى الخارجية المختلفة وبسبب ارتباط بعض القيادات فكانت غير معروفة للعامة، مما يطرح أشخاصًا خارج الحزب كليًّا، حتى توهم البعض في مرحلات معينة أن محمد باقر الحكيم

زعيم حزب الدعوة خطأ في مدة كانت الصراعات على أشدها بين الحكيم والدعوة، وأخذ الإيرانيون معسكر الأهواز من حزب الدعوة وتسليمه إلى الحكيم، وكذلك دعم مؤسساته مثل (مؤسسة الصدر) ومجلسه الأعلى، فضلًا عن تسليمه الأسرى العراقيين بيد رجل الدين المتشدد صدر الدين القبانجي مسؤول حزب الله الإيراني فرع العراق، واستطاع هكذا بعض المتسلقين والانتهازيين أن يصلوا إلى سلم القيادة في حزب الدعوة. لا شك أنه في أوقات الانحاط الكبير للحزب، صار من العار الانتساب إلى حزب الدعوة وارتباطاته العجيبة وتناقضاته، بل ادعى الكثير من رموزه خروجهم من الحزب دجلًا، كما تبين لاحقًا أنه تكتيك مصلحي. واليوم جاؤوا على ظهر الدبابات الأمريكية متسكعين أصحاب الشهادات المزورة، لايحملون أي حيثية وطنية، ليسرقوا البلاد والعباد، ويأتمروا بالأجنبي خصوصًا الإيراني الفارسي الصفوي، وقتل وتهجير وإبادة الملايين من العراقيين والكفاءات والوطنيين في جرائم كبيرة وعظيمة، ينـدى لها جبين الإنسانية. قدم لنا حزب الدعوة مدة حكمه عددًا هائلًا من الشهداء والأرامل واليتامى والمهجرين والسجناء الأبرياء، حسب التقارير العالمية والمؤسسات التحقيقية، وبانت السجون السرية والتعذيب، حتى الاغتصاب للعراقيات الشريفات، وانتشار المخدرات من إيران و ٤٠٪ من الشعب دون خط الفقر، وميليشيات تابعة للأحزاب الحاكمة، وعدد هائل من الشهادات المزورة،وتقلد المزورين والفاشلين للمناصب العليا المتعددة وبرواتب ضخمة، وانحدار التعليم والاستهزاء به، وملايين الدولارات لرواتب ومخصصات، فضلًا عن امتيازات المسؤولين الكبار من الرئاسات الثلاث والوزراء والمستشارين

والبرلمانيين، وتعيين المستشارين الثقافيين والملحقين في أنحاء العالم بلا أدنى ثقافة ولا كفاءة والسفراء الحزبيين، وتحويل الممتلكات العامة والجامعات إلى أملاك خاصة للحزبيين، والعفو عن آلاف الفاسدين، والعقود الفاسدة الكثيرة، وسراق أموال الشعب، وحرق الوزارات في وثائقها الكاشفة عن سرقاتهم وعقودهم وتهريباتهم للأموال والتراث والأملاك، وقتل مئات من الصحافيين والأكاديميين، وترهيب الأحرار، والقتل الجماعي، والحروب الطائفية المصطنعة، ومنع القضاء من أداء دوره وتعطيل البرلمان من ممارسة التشريعات المهمة: كقانون الأحزاب ومصادرها ورقابة البرلمان والمحاسبة للفساد، وتعطيل القضاء وترهيبه وتسييسه، وسرقة أموال العراقيين، والمشاريع الوهمية، وانعدام أبسط الخدمات، وإبعاد الكفاءات والمخلصين والوطنيين، وسحق الأكثرية الصامتة المستقلة من الشعب، وسرقات المال العام بأكبر كمية، وفي أقصر مدة زمنية، بلا رقيب ولا حسيب، وتحويل العراق إلى ضيعة للفرهود، يتقاسمها الحزبيون والسياسيون، كيف يشاؤون على حساب الشعب المحروم، ليتحول العراق إلى أكثر دول العالم فسادًا وظلمًا وفقرًا، وأكبر هوة بين المسؤول والمواطن، ليبحث الشعب في القمامة، وينام في المزابل برغم غنى العراق ونفطه وثرواته.

تحولت بغداد إلى سجن رهيب، يقتل ويهجر الشريف، وتصير من أوسخ عواصم العالم، وتحول العراق إلى بلد الفرهود في الفساد والغش والقتل والإبادة. الآن افتضح أمرهم بإقصاء السنة وقتلهم، فضلًا عن الشيعة العرب الأقحاح الأصيلين، وخلافهم مع الأكراد، وصراعاتهم

من أجل السلطة، وتقسيم الكعكة العراقية الكبيرة. ومن العار أن يمثل الشيعة العرب من يسرقهم من شيعة الفرس الصفويين: أتباع ولاية الفقيه الإيرانية، ويحرم الشيعة العرب (وهم الأكثرية الصامتة) من أبسط حقوقهم. والإمام على والإمام الحسين وأئمة أهل البيت براء من الظالمين الفاسدين، وها هي مناطقهم حتى الشيعية منها في الجنوب والوسط مسحوقة محرومة، وأكثرهم تحت خط الفقر، والأكثرية الساحقة من الشيعة والشعب مظلومون مقهورون مسحوقون.

يقول أحد الحاكمين اليوم من الدعاة: (لا وقت للداعي هذه الأيام للمواطن واحتياجاته، لأنه مشغول بالعقارات والصفقات في الخارج والداخل والسفرات، وصراعاته السياسية، فضلًا عن انشغاله بالبنات الصغيرات والليالي الحمراء...).

خرجت المظاهرات في المناطق الغربية مطالبة بحقوق المواطنة، لكن القادة الدعاة وصفوها بالفقاعات، وأسوأ الألفاظ البذيئة، وتعاملوا معها بأقسى أنواع العنف والظلم والجبروت ... فضلًا عن التغيير الديمغرافي بقيادة سليماني وسيستاني ... مما ينم عن العقلية التسلطية والاستبدادية، وبعده عن الشعب، وبيع العراق للمشروع الفارسي الكبير، لتكون بغداد عاصمة لمشروعهم، ينطلق للمنطقة العربية كلها، والعرب يتفرجون، فيقتل شعب كامل بحجة طاغية قد زال، وعانى منه شعبه قبل غيرهم. لكن المشروع الإيراني ساقط بإذن الله، كما سقط المشروعان البويهي والصفوي من قبل.

*****